مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
Issue N.31-Vol.2 / ISSN:2958-8537
العدد الواحد والثلاثون (31)، المجلد الثاني
تاريخ 28 – 2 – 2025
(ص584 لـ ص606)

# سلطنة دار مساليت ومقاومتها للإستعمار الفرنسي 1898—1916م

# "The Sultanate of Dar Masalit and its Resistance to French Colonialism (1898–1916)"

**د. محمد المهدي أحمد**
**Dr. Mahamat Al-Mahadi Ahmat**
أستاذ مساعد بجامعة آدم بركة بأبشة
almahadiahmat1@gmail.com
orcid 0000_0002_1671_8207

**الملخص:**
أجريت الدراسة بإقليم دارفور بهدف التعرف علي سلطنة دار مساليت ومقاومتها للإستعمار الفرنسي وأظهار الجوانب السياسية بينهما ومدي أثر ذلك على السلطان علي دينار وتتبع تاريخهما واتحادهما ضد الغزو الفرنسي وسقوط كل منهما على الانجليز والفرنسيين، علاوة على ظهورر القائد الفذ السلطان تاج الدين ودره في محاربة الفرنسيين وخلصت الدراسة إلي نتائج وتوصيات.

**.Abstract**
The study was conducted in the Darfur region with the aim of identifying the Sultanate of Dar Masalit and its resistance to French colonialism, showing the political aspects between them and the extent of its impact on Sultan Ali Dinar, tracing their history and their union against the French invasion and the fall of each of them to the British and French, in addition to the emergence of the unique leader Sultan Taj al-Din and his role in fighting the French. The study concluded with results and recommendations.

**مقدمة:**

ألقت الدراسة الضوء علي الحقبة التاريخية لسلطنة دار مساليت في غرب السودان ومقاومتها للاستعمار الفرنسي وأهمية سلطنة دار مساليت للفرنسيون والمعارك التي دارت بين الطرفين، علاوة للدور النضالي والبطولي للسلطان تاج الدين ودحره للفرنسيين وما خلده من سيرة تاريخية نضالية تحكى لابناء المساليت والشعب الافريقي، اضافة الى العلاقة بين دار مساليت والسلطان علي دينار، أتسمت العلاقة بينهما تارة بالسلم وتارة بالحرب، حيث عرفت دار مساليت بإستقلاليتها عن سلطنة دارفور وبدفاعها المستميت عن اراضيها.

**أهداف الدراسة:**

1- الوقوف على دور سلطنة دار مساليت وجهودها السياسية.

2- إبراز اهمية دار مساليت في التاريخ الحديث.

3- التعرف على نوع الصراع بين دار مساليت والفرنسيين.

5- التعرف على مقاومة المساليت للفرنسيين وأثر ذلك على السلطان علي دينار

6- توضيح الجهود والأحلاف المشتركة في الصراع.

**مشكلة الدراسة:**

تتمثل مشكلة الدراسة في توضيح الأثر السياسي الكبير للمساليت في القارة الافريقية بانتصاراتهم على الفرنسيين ومدى أثر ذلك على المحيط الإقليمي.

**أسئلة الدراسة:**

1- كيف كانت سلطنة دار مساليت قبل السلطان تاج الدين؟

2- ما هي التغيرات التي أحدثها سلاطين دار مساليت؟

3- ما أهمية سلطنة دار مساليت للفرنسيين؟

4- ما الجهود المشتركة لتكوين حلف بين السلطان على دينار وسلطنة دار مساليت؟

**فروض الدراسة:**

1- سلطنة دار مساليت ظلت موجودة منذ القدم عبر سلاطينها العظام الا أنها أقل شأنا.

2- سلطنة المساليت أحدثت صداً محلياً وإقليمياً بعد صراعها مع الفرنسيون.

3- تعتبر دار مساليت موقعاً استراتيجياً للفرنسيين كمدخل للسودان وتشاد.

4- بعد دخول الفرنسيون قام تحالف بين المساليت والسلطان علي دينار والسنوسية.

**منهج الدراسة:**

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بغرض جمع المعلومات وتحليل الحقبة المتعلقة بسلطنة دار مساليت ومقاومته للاستعمار الفرنسي ثم عرض نتائجها.

**المحور الاول: سلطنة دار مساليت الأصل والتطور التاريخي**

تعتبر قبيلة المساليت من كبرى القبائل السودانية التى تتجاوز نسمة سكانها أكثر من اربعة ملايين ونصف مليون نسمه تقريبا، وتتمتع قبيلة المساليت بإرث تأريخي كبير وضخم، وما يؤكد ذلك قبيلة "الوداي" المجاورة لهم، حيث وضعت تمثالاً تذكارياً لسلطان المساليت "تاج الدين" في مدينة "أبشة" التشادية تكريماً وتبجيلاً له ولقبيلته التى ناضلت من أجل بقاء غرب السودان. وتمتد دار مساليت من عاصمتهم الجنينة إلى جبل مرة شرقاً وشمالاً إلى دار "قمر" بمنطقة "بركة سايرة"، وغرباً إلى "وداى" وجنوباً "فوربرنقا"، وتجاور سلطات دار سلا ودار تاما ودارقمر ودار وداي ([1])، وتعد قبيلة المساليت من القبائل الإفريقية الأصيلة، التي لها تراثها التاريخي وموروثها الثقافي والاجتماعي، ولها لغتها الإفريقية المتميزة بنبراتها من بين جميع اللغات الافريقية، وكان المساليت من ضمن السكان الذين أسسوا دولة البرنو الإسلامية وشاركوا مع قبيلة الوداى في إقامة مملكة وادى الإسلامية، وتربطهم معها رابطة تاريخية ومصيرية. وتضم دار مساليت قبائل المساليت والوداي والسنجار والبيقو والبرنو والمحاميد والماهرية والفلاتة كلها تتبع لإدارة السلطنة. ([2])

**أ– أصل المساليت:**

أجمع المؤرخون من المصادر المكتوبة عنهم ومن مثقفيهم وقياداتهم على أن أصل المساليت ينتهي نسبهم إلى العرب المستعربة عرب الشمال فهم في جذروهم عرب خلص، وأنهم خرجوا من جزيرة العرب مع الفتوحات الإسلامية الأولى، حيث كانوا في معية طارق بن زياد وموسى بن النصير وعقبة بن نافع وغيرهم من قادة وكتائب المسلمين الأولى التي حملت مشاعل الإسلام لمجاهل أفريقيا وتخوم أوروبا. وبعد فقدان الأندلس رجع المساليت ضمن العديد من القبائل والجيوش الإسلامية، فدخلوا المغرب العربي وتونس وليبيا وكثيراً من مناطق غرب افريقيا، وقد شاركوا وساعدوا في إقامة العديد من الدويلات الإسلامية، حيث كانوا من ضمن المؤسسين لدولة البرنو الإسلامية والتي دامت لأكثر من تسعة قرون حتى انشطرت بفعل الاستعمار على عدة دول كنيجريا والنيجر وساحل العاج وتشاد وغيرها. ذابت العديد من فروع المساليت في الكيانات القبلية والإقليمية بتلك الدول. وكذلك قاموا بدور مقدر في إقامة مملكة وداي الإسلامية. ورغم التزاوج مع العديد من القبائل الإفريقية واختفاء الكثير من الملامح والسحنات العربية إلا أن عادات وتقاليد وأعراف المساليت ظلت إسلامية وعربية خالصة([3]).

---

1` أبراهيم يحى محمد، كتاب المساليت، مطابع حصاد للطباعة والنشر، الخرطوم،2000م. ص67.

2 ابراهيم يحي، مرجع سابق، ص 145.

3 – البخاري عبد الله الجعلي، حدود السودان الغربية مع تشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا،(ب–ت).

للمساليت تاريخ ناصع ومجيد يضيق حيزنا عنه، لأن القبيلة وبعد أن إستقرت أنشأت أول إمارة لها كإمارة مهدية تقوم على المنهج الإسلامي والسلوك الحياتي لكل أفراد القبيلة. والمساليت شديدي التمسك بتعاليم الإسلام، فكل حواضر وقرى المساليت تعمر بخلاوي القرآن الكريم وهم لا يتساهلون مع أولادهم وبناتهم ونشئهم في تعليم القرآن وعلومه، حتى أنهم ولوقت قريب لا يختنون أطفالهم قبل أن يحفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب. وقد جعلوا الكثير من القبائل والأجناس تتآسى بهم وتنتهج نهجهم، فهم قبيلة مضيافة ومسالمة ويجد الغريب وسطهم الأمن والطمأنينة، الأمر الذي جعل أعراقاً وأجناساً كثيرة تذوب في بطونهم وفروعهم المختلفة وتصف بنفس العادات والتقاليد والإلتزامات الاجتماعية لأفراد عموم القبيلة حتى عمرت المساليت في وقت وجيز بالعديد من الأجناس والأعراق والجماعات التي وفدت للديار من جهات وقبائل شتى فاحتوتها القبيلة بالمعاملة الكريمة. ولا يستطيع المرء التمييز بين أولئك الداخلين في الكيان المنصهرين الذائبين في بطون القبيلة العريضة والتي دوماً ما تكون الملاذ والمأوى والمأمن للذي يقصد ديار المساليت فيجد بها السعة والرحب، وبالتالي عرف مجتمعهم بالمحبة والتسامح وروح المعاشرة الطيبة والإخاء، فقبيلة المساليت وبحكم تمسكها بالدين وتعاليمه لا تعرف العنصرية ولا العصبية حتى اشتهرت منطقتها بالسلام والأمن ورغد العيش فقصدتها جماعات وقبائل شتى كثير منهم جاءت الى ديار المساليت هاربة من ويلات الصراع القبلى ([4])

**ب– سلاطين دار مساليت :**

**1– المساليت في ظل هجام حسب الله:1874–1885م**

لم يكن توحيد المساليت على أية حال نتيجة منطقية، أو رد فعل طبيعي لسقوط سلطنة "كيرا"، فليس هناك دليل على أن التخلص من حكم الفور كان هو الحلم الذي يراود المساليت، كما أن اعتلاء هجام حسب الله للقيادة لم يتم في إطار موجة من الشعور الوطني للمساليت، بل جاء توحيدهم منسجما مع تقاليدهم الممارسة، كما يتضح من الكيفية التي تم بها الصلح. تمثلت المناسبة التي وحد فيها هجام حسب الله القبيلة في تنظيمه وليمة عظيمة تحت ظل شجرة كبيرة في أحد الوديان، نحرت فيها العديد من الثيران، ووجهت الدعوة للمشاركة فيها لمختلف أفرع القبيلة المتنازعة. وعند اكتمال حضور ممثلي الأفرع المختلفة، الذين ظن أي منهم في البداية أنه هو الوحيد المدعو للوليمة، كان الخيار الذي طرحه هجام عليهم هو إما أن يطلق عليهم النار في الحال، وإما أن يشاركوا في الصلح ويغفروا ويتناسوا كل الدماء التي سالت من قبل.([5])

4 – ابراهيم يحي، مرجع سابق، ص 147.

5 – محمد بن عمر التونسي،– تشهيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد مسعد، القاهرة، الدار البيضاء،1965م.،ص113.

ربما تلقي هذه الحادثة بعض الضوء على شخصية هجام حسب الله، والذي عرف بأنه شخص قوي وشجاع كان هجام في نظر قوات الحكم التركي المصري في دار مساليت، واحداً من (ملوك) القبيلة. لكن بالنسبة للمساليت ألقت عليه مساعدته جباة الضرائب الترك تبعات سياسية سالبة. فعندما حضر النور عنقرة إلى ديارهم، قرر فرشات دار مساليت الأربعة المقاومة، غير أن الفقيه إسماعيل عبد النبي، شيخ خلوة ديرجيل، كتب خطاباً مسالماً لممثل الحكومة، وعد فيه بتقديم عبيد وأبقار مقابل الأمن والأمان للقبيلة. وبما أن إسماعيل عبد النبي كان فقيهاً وشيخ خلوة، ولا يملك الكثير بالطبع، فقد تعهد هجام حسب الله بتنفيذ ذلك الوعد، وكان المقابل الذي ناله هو اعتراف الحكام به رئيساً للمساليت.([6])

بالرغم من صعود إسماعيل عبد النبي إلى مركز القيادة لاحقاً، فإن ذلك لا يقلل من حقيقة أن هجام حسب الله قد كسب اعتراف المساليت به نتيجة لاضطلاعه بمسئولية تمثيلهم في التعامل مع النظام الجديد. وبالمثل كسب هجام اعتراف الحكام به كممثلهم في التعامل مع المساليت. كذلك كان الحكام الجدد مقدرين لهجام دوره في اجتثاث مقاومة الفور التي كان يقودها سلطان الظل هارون، وتمثل ذلك التقدير بإنعامهم عليه بلقب (بك)، وبتحويل (نحاس) "هارون" إليه، وفي ذلك قيمة رمزية عظيمة، إذ أنه يعني الاعتراف به كحاكم أو حتى كسلطان للمساليت([7]).

ما كان لإدارة هجام حسب الله أن تبدأ من الصفر، حيث كان هناك دائماً ملوكاً تقليديون متعودون على طاعة حكامهم. وبينما استمرت علاقات هجام بالنظام التركي المصري جيدة، إلا أن صداماته مع حكام سلطنة كيرا السابقين لم تنقطع. وكانت له مشكلات أيضاً على الحدود الغربية. لكن رغم ذلك فإن عهده يذكر بأنه فترة ساد فيها سلام نسبي([8])

لم يكن يشار إلى هجام بالسلطان، بل كان لقب (البك) هو السائد عند الحديث عنه. وهو، وإن لم يكن المؤسس لسلطنة المساليت (التي جاء تأسيسها لاحقاً في عام 1884م)، إلا أنه هو الذي مهد لها وبشر بها. وفي الواقع كان هجام حسب الله يتعامل وكأنه سلطان، حيث كان له (نحاس) – كما ذكر سابقا– وذلك رمز من رموز السلطة السلطانية. وثانياً كانت لهجام سلطة الحكم بالإعدام، (والتي مارسها فعلاً)، وهي سلطة كان يتمتع بها سلطان الفور. كذلك وضع هجام نفسه موضع السلطان بمنحه أشخاصاً حق إدارة القرى، وباقتطاعه أرضاً

6 – ابراهيم يحي، مرجع سبق ذكره، ص 148.

7 – محمد بن عمر التوسى، مرجع سابق،ص116.

8– سلاطين باشا، السيف والنار فى السودان، عالم الكتب، ام درمان ط3، 1978م، ص 44.

لآخرين على سبيل الهبة. إن هجام يستحق أن يوصف بأنه موحد المساليت؛ فلقد نجح من خلال موقعه القوي، في إجبار القبيلة للحفاظ للامن([9])

من أسباب التمرد على هجام وسقوطه، الضرائب الباهظة المفروضة في عهده كان من المستحيل عليه إرضاء رعاياه من أهله من ناحية، وإرضاء رؤسائه من الحكام الترك من الناحية الأخرى في نفس الوقت. كذلك كانت قسوته وظلمه من العوامل الهامة التي قادت لسقوطه. فقد كان يقوم بإعدام معارضيه – حتى وإن كانوا من أهله المقربين – بتصفيدهم والإلقاء بهم في وادي كاجا أثناء فترة اندفاع السيل بقوة. وأخيراً يمكن القول أن سقوط هجام كان نتيجة طبيعية لسقوط النظام الذي ارتبط به إثر انتصارات المهدية ([10])

## 2– اسماعيل عبد النبي مؤسس سلطنة المساليت: 1884–1888م

هناك ارتباطاً ملحوظاً بين سلطنة المساليت ودولة المهدية، فكلاهما دولة قائمة على العقيدة، ومؤسسة وفقاً لنظام مركزي. وقد تزامن قيام سلطنة المساليت مع سقوط النظام التركي المصري على يد ثوار المهدية. وكان مؤسس سلطنة المساليت إسماعيل عبد النبي أحد عمال النظام المهدوي الجديد، وقد استغرق ابنه وخليفته أبكر في معارك أيديولوجية مع السلاطين المجاورين، مدافعاً عن وضع بلاده الجديد، ووضعه الجديد هو شخصياً كذلك، مستنداً في ذلك على عقيدته المهدوية. ولقد تمكن المساليت من تقوية سلطنتهم من خلال الحراك السياسي والدبلوماسية الذكية، مستفيدين من ظروف الصراع والحروب التي نشأت بين جبهة الغرب ودولة المهدية.

لقد قام حاكم دارفور من قبل دولة المهدية، محمد خالد زقل، قبل مغادرته الفاشر في يناير 1886م بتعيين إسماعيل عبد النبي عاملاً للمهدية مسئولاً عن المناطق الغربية لدارفور حتى حدود وداي (تشاد). وكان في ذلك التعيين تأكيد للاعتراف السابق في 1885م بإسماعيل كرئيس للمساليت؛ خاصة وأنه كان في غاية الإخلاص للمهدية.([11])

وعندما ظهر المهدي ذهب إسماعيل وبعض من عشيرته لزيارته في كردفان (قدير والأبيض)، وعاد ليبشر برسالة المهدي الدينية الجديدة، ويعلم المساليت الشهادة والجلالة كما طلب منه المهدي. استمر حكم إسماعيل لمدة أربع سنوات حكم فيها دار مساليت والمنطقة التي تسكنها الجموعات العربية في الشمال الشرقي. ([12])

---

9 – البخاري الجعلي، مرجع سابق،(ب ت)

10 – محمد عمر التونسي، مرجع سابق،ص 115.

11 – التوسي، المرجع نفسه،ص118

12 –– محمد ابراهيم ابوسليم، الفور والأرض وثائق وتمليك، مدير مركز الدراسات الافريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، كراسة رقم 10.

غادر إسماعيل دار مساليت في مايو 1888م، حيث تم استدعاؤه من قبل الخليفة إلى أم درمان. وكما تفيد وثائق المهدية، فإن السبب وراء ذلك الإبعاد هو تنامي قوته. لكنه – وبينما ظل على إخلاصه للمهدية – بدأ يشعر بالإحباط وهو يرى التغييرات التي أخذت تحدث منذ وفاة المهدي، والمتمثلة في التطلع للسلطة والمكاسب الدنيوية، بعيداً عن مثاليات المهدي الدينية ونقائه. ومن المؤهلات الرئيسية التي أهلت إسماعيل عبد النبي للزعامة، كونه فقيهاً تحت نظام جديد مؤسسه فقيه هو الآخر، ألا وهو محمد أحمد المهدي، والذي كان إسماعيل عامله. وقد عرف عن إسماعيل اهتمامه بتعاليم الدين والعقيدة المهدوية، فهو قد علم المساليت ترديد الشهادة والجلالة، كما ذكر سابقاً، وأمر الناس بالانتظام في الحضور للصلاة في المساجد، والالتزام بالصيام في رمضان. كما منع التمباك والمريسة[13]، وطبق توجيهات المهدي بتخفيض المهور. كذلك حارب بعض الممارسات الاجتماعية التقليدية، المتمثلة في الطقوس الدينية ذات الجذور الوثنية، والتي كانت تمارس أمام أحجار معينة، أو في قمم الجبال، أو في الكهوف، والأشجار الكبيرة، طلباً للمطر أو المنافع الأخرى. وقد أغلق إسماعيل الطريق المؤدي إلى مزار "حجر جاركوني"، ومن بعده قطع السلطان تاج الدين "شجرة بيدا" لوضع نهاية للطقوس الوثنية التي كانت تؤدى تحتها. وعلى الرغم من أن نفوذ إسماعيل عبد النبي، قبل أن يصبح سلطاناً، كان قائماً على مكانته كفقيه، إلا أنه بعد عام 1884م، برز كرجل دولة، بتأسيسه سلطنة المساليت ووضعه القواعد القوية لمؤسساتها الرئيسية.([14])

بعد سقوط النظام التركي المصري عاد ألجنود من أبناء المساليت الذين كانوا يعملون في خدمة ذلك النظام إلى ديارهم، حيث أخذوا في تقديم خدماتهم للسلطان إسماعيل، وساندوه بكل ما امتلكوه من سلاح ناري ومن مهارات عسكرية. ورغم أن هؤلاء كانوا جنوداً عاديين عندما كانوا في خدمة النظام التركي المصري، إلا أنهم أصبحوا من الشخصيات المهمة في بلاط السلطان إسماعيل، ومصدر قوة له، وقد وضع بعضهم في مناصب إدارية هامة. كذلك انضم إلى مساندة السلطان إسماعيل بعض المعارضين للحكم التركي المصري من الذين كانوا قد لجأوا لدار مساليت، ومنهم قضاة وفقهاء. وهكذا قوى إسماعيل من نفوذه باستيعابه عناصر مؤسسة الحكم التركي المصري وإدارته، مستبعداً بالطبع من يشك في أنهم قد يشكلون خطراً على سلطته. الجهة الثالثة التي قدمت سنداً للسلطان إسماعيل كانت فئة الفقهاء ورجال الدين. حكم السلطان إسماعيل عبد النبي لمدة أربع سنوات (1884

13 نوع من الخمور

14 – موسى المبارك، تاريخ دارفور السياسى، جامعة الخرطوم، دار النشر والتأليف،1986م، ص112.

ZIU JORNAL
مجلة جامعة الزيتونة

– 1888م). ورغم أنه هو الذي وضع الأسس للإدارة الداخلية للسلطنة، إلا أن ابنه أبكر كان هو الذي قام في العقد الأول من فترة حكمه بتعزيز مكانة السلطنة داخلياً وخارجياً وتطوير مؤسساتها.([15])

### 3– السلطان أبكر إسماعيل (1888 – 1905م )

جمع السلطان أبكر إسماعيل ما بين مجموعتين من الانتماءات الإيديولوجية، وهما الإسلام الذي أعطى حكمه سمته الأساسية من ناحية، والتقاليد السودانية من ناحية أخرى، خاصة في تحديدها للعلاقة بين الحاكم ورعاياه. فبينما قدمت سلطنة المساليت نفسها لجيرانها على أنها دولة مهدوية مصغرة، إلا أنها كانت منظمة داخلياً كدولة سودانية على نمط سلطنة "كيرا" (دارفور). وفي الوقت الذي كان فيه هجام حسب الله ممثلاً للنظام التركي المصري، وإسماعيل عبد النبي عاملاً لدولة المهدية، كان أبكر سلطاناً كاملاً بمكانة مساوية للسلاطين في السلطنات المجاورة (وإن كان في مكانة أقل من السلطان في سلطنة وداي).ولقد عزز السلطان أبكر من سلطته بانتهاجه الأسس التي أرساها والده إسماعيل؛ وجعل من نفسه سلطاناً بلا مناع([16]).

وعلى النقيض من والده إسماعيل، يذكر الناس أبكر كسلطان متعجرف وحاد المزاج وقاسي. فبينما كان في بداية عهده إنساناً لصيقاً بالناس بمختلف رتبهم الاجتماعية، وكانوا يحبونه ويستقبلونه دائماً بعبارات الود والترحاب، إلا أنه مع مرور الزمن غير من ذلك النهج؛ وأصبح يلوذ بقصره (الدانقة – وهي مبنى من الطين من طابقين)، يطل منه على عاصمة سلطنته وما حولها. ولقد أتخذ أبكر كامل المظاهر الخارجية للسلطان، بما في ذلك إبقائه على فئة الموظفين الذين يرتبطون تقليدياً بالسلاطين، واستخدامه للنحاس (والذي غنمه من الأنصار)، بدلاً من الجرس (مندكورا) الذي كان مستخدماً في عهد والده إسماعيل. لم يشتمل قصر السلطان أبكر فقط على (الدانقة)، والتي هي على نمط القصور في الحزام السودانيt) الشرقي، بل كانت ملحقة بالقصر أجنحة منفصلة للرجال وللنساء، مثلما كان سائداً في بلاط سلاطين الفور في الفاشر. وكان للسلطان أبكر عدد كبير من الزوجات ومن ملك اليمين (حاز على عدد منهن من الفاشر إثر حملته على الأنصار).([17])

وكان السلطان أبكر محاطاً بعدد من المسئولين من حملة الألقاب الرفيعة. ويأتي على رأسهم الوزير، والذي هو في تقاليد دار مساليت الذي ينصح السلطان في الشئون العسكرية، ويتولى القيادة عند الحرب. وله أيضاً عدد من الأمناء، وهم من موظفي وخدم البلاط الموثوق بهم والمقربين. لم تكن لهؤلاء الأمناء مهام محددة؛ فهم يؤدون خدمات متنوعة في القصر، مثل تكليفهم بتوصيل الرسائل وغير ذلك من المهام. لكن أهمية هؤلاء الأمناء أنهم يمثلون رمزاً من رموز السلطة. كان السلطان أبكر مدركاً لأن الدولة بحكم وظائفها ومهامها تحتاج إلى وجود طبقة

15 -- موسى المبارك، مرع سابق، ص115

16 – مكى شبيكة، السودان عبر القرون، دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1964م، ص 123.

17 -- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة السودانية، بيروت – لبنان1967م، ص69.

من رجال الحكم، وأن وضع القواعد الأساسية للسلطنة يتطلب تكوين هذه الطبقة. غير أن هذا النظام المركزي الجديد يختلف في أوجه كثيرة عن نظام المساليت التقليدي (الملوكية والفرشة). مع نشوء السلطنة، اقتصر استخدام لقب (باسنقا) أولاً على المقربين من أهل إسماعيل (أشقاؤه وأعمامه)، وامتد استخدام اللقب ثانياً للمنحدرين من سلالة الحكام التقليديين الآخرين. كما استخدم لقب (باسي) للأفراد الذين أصبحوا على صلة وثيقة بالسلطان دون أن يكونوا من أهله المقربين. العنصر الثالث في سياسة السلطان أبكر الرامية لتقوية ومركزية سلطنته كان استخدامه (الجهدية)، والذين هم الجنود من الأرقاء ذوي المهارة في استخدام السلاح الناري. ولم يكن السلاح الناري والأرقاء الذين لديهم الخبرة في استخدامه من الظواهر الجديدة في ذلك الوقت في دار مساليت. حتى الفترة التي استولى فيها المساليت على كميات كبيرة من السلاح الناري ومن الأرقاء أثناء حروبهم في ذلك العقد (تسعينات القرن التاسع عشر)، لم يكن لهم كيان من المحترفين للجندية. كان الجزء الرئيسي من (جهدية) السلطان أبكر من الجنود الذين استبقى عليهم بعد طرد حامية المهدية من دار مساليت. في البداية عمل هؤلاء (الجهدية) كحراس شخصيين للسلطان أبكر.([18])

لم تكن للجهدية أهمية كبيرة، كأداة من أدوات السياسة الخارجية، حيث أنه في حالات الحرب كان المحاربون المشاة من المساليت يفوقونهم عدداً، وكان الخيالة من نبلاء المساليت يفوقونهم أهمية. كانت أهميتهم الكبرى تكمن في كونهم أداة من أدوات السياسة الداخلية. فبما أن السلطان يعيش في "درجيل"، ويدير البلاد من العاصمة، فإن المقادم (مفردها مقدوم) والذين كان يتم اختيارهم من (الجهدية)، كانوا هم الذين يمثلونه كوكلاء له في المناطق الأخرى. غير أن المساليت قد ضاقوا بهم، نظراً للسلطات الكبيرة التي منحها السلطان أبكر لهم. وبشكل خاص ضاق بهم أفراد قبيلة السلطان، الذين أحسوا بأن السلطان لا يريد إشراكهم في السلطة، وأنه بدأ يخالف سياسة والده السلطان إسماعيل الذي كان يخصهم بمواقع مؤثرة في الحكم.([19])

من سياسة السلطان أبكر الرامية إلى تقوية سلطة الدولة، كان بسط سيطرته على التجارة الخارجية، والتي كانت تشكل مجالاً اقتصادياً منفصلاً، وهي كانت بشكل عام تحت سيطرة الدولة في جميع أنحاء الحزام السودانوي الشرقي، كما يؤكد ذلك تطور التجارة في سلطنة المساليت في عقد التسعينات (من القرن التاسع عشر). فالمساليت في عهد سلطنة دارفور لم يكونوا مشاركين في التجارة عبر الطريق الرئيسي بين سلطنتي (وداي) ودارفور، والذي يمر بشمال ديارهم. لكن مع نشوء سلطنة المساليت تغير ذلك الحال، ففي عهد السلطان إسماعيل

18 -- يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى،1450-1821م، جامعة الخرطوم، 1989م، ص 114.

19 -المرجع نفسه، ص 115.

والسلطان أبكر أصبحت العاصمة الجديدة (درجيل) مركزاً للتجارة عبر المسافات البعيدة. وحيث أن الثورة المهدية كانت قد أثرت على انسياب التجارة بين مصر ودارفور، وبين دارفور ووداي (تشاد)، فقد أصبحت (درجيل) هي المحطة الطرفية الجنوبية للتجارة عبر الطريق الصحراوي من بنغازي. كانت سيطرة السلطان على التجارة الخارجية نابعة من حاجته لمنتجاتها من أجل بلاطه، ومن أجل إشباع حاجات رجال الطبقة الحاكمة، ومن مقدرته على تكوين كميات كافية من سلع التصدير المرغوبة، ومن استطاعته على توفير الحماية التي يطلبها التجار من الفزان والجلابة، ولم يكن في مقدور أي قافلة الدخول لدار مساليت دون إذنه. كانت معظم السلع الأجنبية تباع في (درجيل) مقابل العاج وريش النعام وقرن وحيد القرن والجلود. وقد أسهمت محدودية سلع التصدير في السيطرة على التجارة.([20] )

**المحور الثاني: التدافع الاوروبي على افريقيا في سلطنة دار مساليت**

بدأ التسابق الاستعماري الأوروبي على افريقيا عامة والفرنسي على وجه الخصوص لغرب إفريقيا عام 1848م، لإستطلاع أراضي "دار وداي" بقيادة "مايسترو" وأثمرت جهوده إلي التنفيذ بعد مؤتمر برلين عام 1885م فإنتقل نشاطه إلي نهري شاري ولحقت به قوة إضافية بإشراف "بريتوري" و"براون" لاحتلال الأراضي التي عرفت فيما بعد بجمهورية تشاد، ولكن فشلت حملتهما لإستهانتهم بجيش "رابح" الذي تمكن من القضاء عليهم عام 1899م.أعدت فرنسا حملة أخرى قادها "اميل جانتي" الذي عين مفوضا عاما لفرنسا في نهر شاري، وبعد وصوله أجرى مفاوضات مع الألمان لإنشاء قاعدة فرنسية في أراضي الكمرون، ولكن فكرته باءت بالفشل. من جانب آخر تحالف المساليت مع سلطان دار تاما ودار سلا وكتب السلطان "تاج الدين" خطاباً للعرب السلامات والمحاميد منوهاً بالأخطار القادمة إليهم([21]).

تم توقيع معاهدة بين الفرنسيين والانجليز عام 1899م اعترفت فيها انجلترا لفرنسا بالوصايا على "باقرمي" و"تبستي" و"كانم"، وفي نفس العام وصلت قوة فرنسية يترأسها "جانتي" والرائد "لامي"، وعرفت حملتهما بحملة "شاري" وأعطيا إشارة الهجوم وأسفرت المعركة عن مقتل "فضل الله رابح" و "لامي"، واستسلمت جيوش رابح ورُبطت إفريقيا الفرنسية بأفريقيا الاستوائية، وبعد سقوط مملكة "وداي" تقدم الفرنسيين من احتلال بحر الغزال، وكادت ان تقع فتنة بين الفرنسيين والإنجليز، وبعد مفاوضات "فشودة" الشهيرة تنازل الفرنسيين عن بحر الغزال واتجهوا' إلى "دار وداي".([22])

---

20 – ابراهيم يحي، مرجع سابق، ص 148.

21 –– ادم محمد حسن كبس، سلطنة دار مساليت والسلطان علي دينار، ورقة علمية منشورة في مجلة جامعة الدلنج للاداب، العدد 13،2016م،ص، 15.

22 ادم محمد حسن، المرع نفسه،ص 22.

تواصلت الأحلاف الدولية عام 1905م بين فرنسا وألمانيا، اعترفت بموجبها ألمانيا بحقوق فرنسا في افريقيا الاستوائية والكمرون، وبموجب ذلك أصدرت فرنسا عام 1908م مرسوماً عاماً بإقامة حكومة عامة لإفريقيا الاستوائية، وحددت الحدود بين افريقيا الاستوائية والكمرون، وفي نفس العام تم الإستيلاء على مدينة أبشة عاصمة "دار وداي" على الحدود الغربية لسلطنة دار مساليت.([23])

**المواجهات العسكرية:**

بعد هزيمة "مملكة وداي" عام 1908م ودخول الفرنسيون مدينة أبشة عام 1909م، فر سلطان مملكة "وداي" "دود مره" إلى الشمال لتنظيم المقاومة المستقبلية، ونصب الفرنسيون "آدم اصيل" بدلاً عنه وكان غزو الفرنسيين لمملكة "وداي" تحقيقاً لسياسة سبق أن تم إقرارها في عام 1906م، والتي تخلت فرنسا بموجبها عن السياسة الدفاعية التي كانت تنتهجها نحو مملكة وداي، وتبنت بدلاً عنها سياسة هجومية، تمثلت في ممارسة الضغط بثبات في اتجاه الشرق. وكانت هناك عدة أسباب وراء هذا التغيير في السياسات، من بينها تعزيز سلطة فرنسا في المناطق الغربية لدارفور، خاصة وأن الوداويين كانوا كثيراً ما يخرقون استقرار الحدود. سبب آخر هو تخوف الفرنسيين من احتلال عثماني سنوسي مشترك لـــمملكة وداي من الشمال، أو احتلال اقتصادي لها وتحويل تجارتها للشمال بواسطة العثمانيين، أو للشرق بواسطة البريطانيين. ([24])

نزع الفرنسيون سلاح السكان بعد احتلالهم مدينة أبشة، ودعوا رعايا مملكة وداي وفروعها للاستسلام. وفي الخامس من يونيو 1909م بعد تنصيب أصيل سلطاناً لمملكة وداي كتب إلى سلاطين المناطق الحدودية معلناً نفسه السلطان الجديد لـ (وداي). كان أول المتجاوبين مع رسائله سلطان دار تاما، وتبعه سلاطين دار سلا ودار قمر. أما السلطان تاج الدين والسلطان علي دينار – وإن كانا قد أرسلا تهنئة– إلا أن رسالتيهما اشتملتا على تحذير واضح لأصيل. بل كانت رسالة تاج الدين إعلاناً مبطناً عن استقلال سلطنته. رد السلطان تاج الدين قائلاً : "انا لست من أتباعك وعليك بشكر الله الذي جعل لك استرداد ديار آبائك ومجد أجدادك كما أعطاني مجد أجدادي في دار مساليت". وقد أدرك أصيل تماماً ما عناه كل من علي دينار وتاج الدين. غير أن الفرنسيين لم يكونوا على نفس الدرجة من الإدراك، حيث أنهم واصلوا اندفاعهم نحو الشرق. ورفع الفرنسيون علمهم في "دارقمر" و"دار تاما" و"دار سلا" ووقعوا معهم معاهدات، منها فتح طرق التجارة ووقف تجارة الرقيق ودفع المحاصيل والحيوانات للفرنسيين.([25])

---

23 – الصادق زكريا عبدالرحمن، السلطان علي دينار وعلاقتة بالانجليز، رسالة ماجستير،جامعة الفاشر، 2007م، غير منشورة، ص122.

24 – ادم محمد حسن، مرجع سبق ذكره، ص18.

25 – الصادق زكريا مرجع سابق،ص 125.

قرر "فيقنشو" الحاكم الفرنسي زيارة خاطفة للسلاطين يرافقه فيها السلطان أصيل، بهدف بناء السلام وفتح حركة التجارة. ودون استشارة أصيل واستشارة المساليت تحرك نحو ديارهم في قوة عسكرية قوامها 582 جندي مشاه و129 خيالة، وقد استنكر المساليت ذلك لأنهم لم يكونوا تحت سيطرة "مملكة وداي" فأعدوا أسلحتهم وخيولهم لمقابلة الاسلحة الحديثة، إلى جانب ذلك كانت التعليمات الصادرة للعقيد الفرنسي "فيقنشو" الحاكم الجديد لـــمملكة وداي واضحة جداً، ومفادها أن عليه التأكيد على السيادة الفرنسية على الدويلات الواقعة في نطاق ـــمملكة وداي، وأن يصدر خطابات لكل سلاطين الديار الحدودية، وأيضاً لكل رؤساء القرى التي تقع في الحدود مع دارفور، يضمن لهم بموجبها الحماية الفرنسية. كان هدف الفرنسيين من وراء ذلك هو تقوية موقفهم التفاوضي في المباحثات الإنجليزية الفرنسية المتعلقة بحدود وداي دارفور.([26])

**معركة كريندينق 4 يناير 1910م**

وافق سلاطين دار تاما ودار قمر بالحماية الفرنسية، بينما قرر المساليت محاربة الفرنسيين، وأعلنوا موقفهم ذاك صراحة واكتملت كافة الاستعدادات لتحرك الفرنسيون من ابشي الي دار مساليت ومن جانب اخر استعد المساليت وضرب السلطان النحاس واستدعي كبار رجالات السلطنة وعرض عليهم الامر وتدارسوا الموقف واعلنوا التعبئة العامة وتحركت قوات السلطان خارج درجيل لملاقاة الجيش الفرنسي وكتب تاج الدين خطابات الي سلاطين دارسلا وقمر وتاما يحزرهما من العدو الفرنسي، وتبادل السلطان تاج الدين الرسائل مع الفرنسيون عبر التهديد وتقدم الجيش الفرنسي الي مقر السلطان وللاسف تحرك السلطان بجيشه الي الجنينة وتقدم القائد فلقنشو لمصافحة الامير بحر الدين الا ان اعتزر عن المصافحة وصوب القائد الفرنسي نحوه طلقة نارية فقبل موته ذبح القائد فلفنشو وكان ذلك أيذاناً للمعركة ([27]).

قدم السلطان تاج الدين تحذيراً واضحاً للعقيد " فيقنشو" والتحمت قوات دار مساليت مع القوات الفرنسية في معركة (كريندنج)، والتي عرفت أيضاً بمعركة (وادي كاجا)، بالقرب من مدينة الجنينة، والتي انتهت بنصر باهر لقوات المساليت، وهزيمة ساحقة للقوات الفرنسية، حيث قتل من جانبهم مائتان وثمانون محارباً – خمسة منهم أوربيون، بما فيهم قائدهم الكولونيل فايجنشو علاوة علي الأسري والجرحي وفر الجيش الفرنسي هاربا نحو ابشي واستشهد من قادة المساليت وارباب بندا وباسي ومحمد نيدم وأبراهيم ود ابو ويحي ابو أضان واحمد ود أبو وأخوه اسماعيل واسحق بن السلطان ابكر وعبد الله كشوشا واخرون واعتز وافتخر تاج الدين بنفسه :

انا تاج الدين سيف طرين

---

26 -- نعوم شقير، مرجع سابق، ص112.

27 – يوسف فضل حسن، مرجع سابق، ص98.

جوادي بدين نجاهد الكفار لمن المهدي يبين.

بدأ الموقف يزداد خطورة، وأخذ الشك يساور الفرنسيين في ولاء حلفائهم (الوداويين) – بما فيهم السلطان أصيل نفسه – والذي نصبوه هم في مارس 1910م، فر عدد من أعيان وداي للالتحاق بدود مرة في كابكا. بعد انتصاره في معركة كريندنج كان السلطان تاج الدين قد وجه رسالتين إلى آدم أصيل ينصحه فيهما بالتخلص من بقايا الفرنسيين بأسرع ما يمكن([28])

على سبيل المثال لا الحصر نأخذ معركتين مصيريتين حاسمتين شرستين خاضهما المساليت بضراوة ضد الاستعمار الفرنسي:

**معركة كريندينق 4 يناير 1910م**

جمع الفرنسيون لهذه المعركة حشوداً كبيرة بقصد قهر المساليت وتشتيتهم وكسر شوكتهم وضم ديارهم عنوة لنفوذهم بالسودان الفرنسي (تشاد حالياً) وقد سكت الانجليز يومها باعتبار أن أرض المساليت واقعة تحت النفوذ الفرنسي حسب الاتفاق الأوربي، فجلب الفرنسيون لتلك الحرب أحدث ما جادت به مصانع السلاح الأوربي فجاءوا بآلاف من الجنود الفرنسيين وآلاف من الجنود من جيوش الدولة الواقعة تحت النفوذ الفرنسي واستعد رجال المساليت لتلك المعركة استعداداً قيل أنه لم يسبق له مثيل، وقيل أنهم وضعوا خطة حربية خادعة استطاعوا بها جر الجيوش الفرنسية الى مناطق غابات ووديان وعره بينما اختفى فرسانهم على جنبات الوديان والخيران مختفين تحت الحشائش والأشجار حتى توسط الجيش الفرنسي الكبير لموقع الهجوم وفي لحظة إنقض الاف الفرسان وبأسلحة بدائية من حراب وسفاريك وعصى غليظة وبنادق عديدة حيث قيل أن صيحات المحاربين الأشداء من رجال المساليت وصيحات الحرب التي ترددها الاحام والوديان قد زرعت الرعب الشديد لدى الفرنسيين حيث قيل أن الرعب لم يمكنهم من استعمال أسلحتهم من جراء المباغتة والهجوم الكثيف من جميع الاتجاهات أبادوا الجيوش الغازية عن بكرة أبيها وقتل قائدها الفرنسي الكولونيل فلقنشو وقدم المساليت أعداد كبيرة من الشهداء وغنموا كثيراً من الأسلحة والعتاد ([29])

28 – ابراهيم يحي محمد، مرع سابق، ص 150.

29 – محمد احمد علي، مرجع سابق، ص14.

**معركة دروتي 9 نوفمبر 1910م وإستشهاد السلطان تاج الدين:**

اهتزت فرنسا لهزيمة جيوشها في منطقة دار مساليت كريندق مما دفع البرلمان الفرنسي ان يصوت بالاجماع بالموافقة علي الاعتمادات المالية اللازمة لدعم القوات الفرنسية ماديا ومعنويا في تشاد وارتفع عدد الجيوش من1200 الي 1800موزعين علي كتيبتين مكونة من اربعة سرية، تقدمت القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل مول حاكم اراضي تشاد بحملة مكونة من 300 جندي الي دار مساليت ودون ترتيب وتنظيم تقدم الي سلطنة دار مساليت.، اما سلطان المساليت علي يقظة تامة بتحركات الجيش الفرنسي وتحرك جيش السلطان من درجيل الي دروتي جنوب غرب الجنينة الحالية، وصل الجيش الفرنسي الي مقر السلطنة وفوجئ بخلو المنطقة وتحرك الجيش الفرنسي الي حيث موقع المساليت ودارات معركة شرسة وحامية الوطيس وهي غير متكافئة من السلاح والتدريب ([30])

كانت درجيل– عاصمة دار مساليت – أصبحت بعد معركة كريندنج هي مركز الثورة ضد الفرنسيين، وملاذ المعارضين لهم، فقد قرر الحاكم الفرنسي الجديد الكولونيل مول أن يخوض المعركة ضد المساليت، خاصة وأن التعليمات الصادرة إليه كانت أن يعاقب المساليت في أول فرصة سانحة. وبينما أرسل قوات إلى دار مساليت عن طريق دار تاما ودار جبل، اتخذ هو الطريق المباشر من جهة الشرق، وخاض المعركة في داروتي بالقرب من الجنينة في التاسع من نوفمبر 1910م؛ وهي المعركة التي استبسل فيها مقاتلو المساليت وفرسانهم – رغم عدم التكافؤ في السلاح والتدريب بين الجانبين فتعد شرسة وحامية الوطيس، واسفرت المعركة عن هزيمة فاجعة اخري للجيش الفرنسي ومقتل القائد مول حاكم تشاد ومجموعة من الضباط والجنود وطردوا الي خارج دار مساليت حول الحدود التشادية.([31])

قتل في المعركة من جانب القوات الفرنسية الجنود التشاديين والسنغاليين 28 جندياً، وجرح 69 آخرون، وفقد 14 جندياً؛ كما قتل 20 من الضباط الفرنسيين بمن فيهم الكولونيل (مول) نفسه، اما جيوش السلطان فقد حصدتها المدافع والنيران وسقط الالاف باسلحتهم التقليدية حفاظا للوطن وقدموا عرضا اذهل الفرنسيون باعتبار ان خصمهم محل تقدير واحترام وامتلأت الأرض بالشهداء، وبينما كان المساليت يطاردون الجيش الفرنسي اذا بالسلطان يتفقد أهلة وعشيرته الشهداء ويقول: "أين داود بوبلي، أين أمين مر، ويككر داود مشى أنا راجي شنو" وفي تلك اللحظة كان أحد الجنود السنغاليين طريحا مع الشهداء ورأى فارسا بحصانه فصوب سلاحه إليه وأرداه قتيلا، وهو السلطان تاج الدين، فانقلب الفرح إلى حزن نبيل وشريف واستشهد في المعركة السلطان تاج

30 –– محمد احمد علي، سلاطين المساليت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجنينة، 2017م،ص76.

31 – تماني فاروق هاشم، معارك المساليت مع الفرتسيون، ورقة علمية منشورة في مجلة امعة البطانة للعلوم الانسانية، 2008م،ص 55.

الدين و40 من أقاربه، والمئات من أبناء المساليت الآخرين علي رأسهم "أمين داؤد بوبلي" و"أمين مر" و"أمين بشارة" و"الفكى على".

كان لهذه الهزيمة ردود فعل عنيفة في فرنسا بل هزت كل الدول الاوربية وعين العقيد "لارجو" ليحل محل "مول" وتابع الفرنسيون انتصارهم بحملة انتقامية في يناير 1911م، حيث انتشروا في جميع أنحاء دار مساليت منفذين سياسة القمع الممنهج في السهول وفي الوديان، حيث أنهم قاموا بإحراق (درجيل)، واستولوا على أكثر من ألفي رأس من الأبقار والأغنام. وبعد إستشهاد السلطان تاج الدين خلفه "محمد بحر" الذى اتخذ طريقاً مغايراً ووقع صلحاً مع الفرنسيون، وأعلن تبعيته لهم ويدفع لهم ضريبة سنوية، غير أن شجاعة المساليت وشراسة قتالهم قد وجدت طريقها إلى السجلات الفرنسية، حيث ذكر قائد الحملة العقيد "لارجو" في تقريره: " كان المساليت أعداء شجعان ومقاتلين شرسين، يثيرون الرعب في النفوس وكانت مقاومتهم حقا مقاومة وطنية". فالمتتبع لتاريخ المساليت ذو الإرث الجهادي البطولي يصعب عليه وبدقة أن يرصد حروبهم التاريخية، ولكن اذا أخذنا حروبهم ذات البطولات النادرة ضد الاستعمار منذ نهاية القرن السابع عشر نجد بطولات خارقة قد سجلها المساليت استطاعوا قهر المستعمر في آخر المطاف فخلصت لهم ديارهم فصارت حرة مستقلة وسط لجة الاستعمار وسعره(.[32])

ظل المساليت يتغنون بأمجادها وأفضالها حتى اليوم، فقد كانت نتائج "كريندنق" التي أبيد فيها الجيش الفرنسي كله وذبح قائده مخيباً لآمال الفرنسيين واستقبلها المجتمع الفرنسي بكثير من الإحباط والدهشة، لذا أستعدّ الفرنسيون لمعركة ثأرية تأديبية ترد للمقاتل الفرنسي هيبته وتدخل الخوف والهلع في نفوس الأفارقة. أما المساليت فقد نوى الفرنسيون قلعهم من ديارهم وتشتيتهم في جميع الأصقاع ليصيروا مثالاً للذل والهوان. وهكذا استعد الفرنسيون لمعركة دورتي الثأرية استعدادًا لم يتركوا وسيلة للدمار يومها إلا وأحضروها لتلك المعركة التي حسبوا أن تكون الفاصلة، وفي المقابل حسب المساليت للمعركة حساباتهم كلها وجمع سلطانهم المجاهد محمد تاج الدين قادة كتائب الجهاد من جميع بطون القبيلة ومن تحالف معها واستفادوا من الأسلحة التى استولوا عليها من معركة "كريندنق" وجاءت القبيلة بغضها وغضيضها وقيل أن السلطان المجاهد "محمد تاج الدين" قد رد على رسالة قائد الحملة الفرنسية الكولونيل "موذات" باللهجة التحكمية والاستفزازية برد من جملة واحدة هي (انصرف أيها الكافر وإلا فإن أسود المساليت جوعى وعطشى للشهادة في انتظارك). فدارت المعركة، وقيل أنها استمرت لأيام استطاع

32 –محمد احمد علي، مرجع سابق، ص77.

المساليت أن يقضوا على الحملة الفرنسية جميعها وقتلوا قائدها ذبحاً بعد أن أسروه، وفى المقابل فقد المساليت آلاف من الشهداء وعلى رأسهم السلطان المجاهد "محمد تاج الدين".

بعد هاتين المعركتين الحاسمتين انصرف الاستعمار عن دار المساليت بل إن الانجليز والفرنسيين قد اتفقوا وهم يرسمون الحدود بين السودان والسودان الفرنسي (تشاد حالياً) اتفقا أن تكون أرض المساليت أرض حره ولمساليت مطلق الحرية في أن ينضموا الى السودان أو السودان الفرنسي أو يبقون على الحياد وبعدها وقعت إتفقية قلالى عام 1920م وهى تلك الإتفاقية الطوعية التى بموجبها أنضمت دار مساليت بكامل حريتها للسودان([33])

**المحور الثالث: وصف الشاعر محمد الفيتوري لمعارك المساليت:**

الشاعر محمد الفيتوري يتضامن مع هذا الوجدان الشعبي الصادق ويترك لنا في ديوانه (عاشق من افريقيا) قصيدة بعنوان مقتل السلطان تاج الدين تعد بمثابة وثيقة ادبية وتاريخية مهمة، نستشف عبرها تفاصيل وأحداث معركة وادي دروتي، التي لولاها لما كانت أرض السودان الحالية. الفيتوري شاعر مشهور، كل ما نود ان نشر اليه أنه عاش جزءا مهما من حياته في دار المساليت، فكانت حياته عبارة عن سلسلة من الخصومات مع الأنظمة العربية، ومجادلات مع كتاب ونقاد، أخذ غذاءه الفكري المبكر من الموروث الشعبي المسلاتي، عن طريق الأحاجي او القصص او الأغاني الشعبية، وظهر هذا التأثير الإفريقي جليا في شعره خصوصا قصيدته مقتل تاج الدين، كان معجبا بالسلطان تاج الدين وتضحياته، ويبدو أنه من أجل هذا سمى نجله الأكبر بتاج الدين تيمنا بهذا البطل المسلاتي الكبير وأهم من ذلك خلد له قصيدة نعتبرها من أروع قصائده ([34])

ففي المقطع الأول من القصيدة، يصور الفيتوري الظروف المحيطة بمسرح الأحداث، مستخدما الرمز تارة ومستفيدا من المعتقدات المحلية القبلية تارة أخرى:

فوق الأفق الغربي سحاب أحمر لم يمطر

والشمس هنالك مسجونة

تتنزى شوقا منذ سنين

والريح تدور كطاحونة

حول خيامك يا تاج الدين([35])

ثم ينتقل بعد ذلك الى مدح السلطان مستخدما نفس الاوصاف القديمة التي

استخدمها شعراء العرب

---

33 – داؤد بوبلي، صفحات من تاريخ المساليت،ط!، مطبعة الخرطوم،1998م،ص22.

34 –– محمد مفتاح الفيتورى، ديوان عاشق من أفريقيا، الخرطوم ط1، 1963م، م دار النشر للتأليف،ص77.

35 – محمد مختار احمد، جوانب من حياة الشاعر محمد الفيتوري، دار جامعة افريقيا للنشر،1999م،ص45،

بيتك عالي الشرفات، نارك لا تخبو، جارك موفور العرض، وغيرها

وفي المقطع الثاني، يطالعنا صورة السلطان وهو يقود الجيش بنفسه ويؤازره من خلفه شقيقه بحر الدين([36])

كان السلطان يقود طلائعنا

نحو الكفار

وكان هنالك بحر الدين

واشار الينا تاج الدين

وينتهز السلطان هذه المناسبة التاريخية، ويخطب في الجيش مقدما لهم رؤيته للحرب ونتائجها للطرفين معا، وهي رؤية واقعية صادرة عن رجل

عرك الحياة وجربها لا يزدهيه فرح ولا تستخفه عاطفة([37])

ومضى السلطان يقول لنا

ولبحر الدين

هذا زمن الشدة يا اخواني

سيموت كثير منا

وستشهد هذي الوديان

حزنا لم تشهده من قبل ولا من بعد

وفي المقطع الثالث، ينقل لنا الشاعر حوارا طريفا دار بين السلطان واحد ضيوفه، حيث طلب السلطان المشورة من الضيف فجاء رايه يميل الى الاستسلام والانهزام([38])

يا تاج الدين

الاعداء امامك فارجع

لهب وقذائف حمر

وخوذات تلمع

والحربة مهما طالت

لن تهزم مدفع

---

36 – محمد مختار احمد، مرجع سابق،ص 47..

37 – محمد مفتاح الفيتوري مرجع سابق،ص79.

38 – مدثر محمد حمدان، إضاءات حول المساليت، مكتبة جامعة نيالا، 2018م،ص57.

لن تهزمهم يا تاج الدين
بسلاح كزمانك مسكين([39])

ويأتي رد السلطان مسرعا وقويا كالعاصفة، معبرا عن دور القائد المؤمن الصادق في مثل هذه المواقف

يا ويلك لو لم تك ضيفي يا عبد الله
ما اقبح ما حركت به شفتيك
ما ابشع ما منيت به عينيك
عار ما قلت
وعار ان نستمع اليك
فاثن زمام جوادك
وخذ الدرب الاخر
يا بحر الدين اعده للدرب الاخر ([40])

وتفاصيل هذا الحوار موجود في القصص الشعبية،تشر بان السلطان بعد ان صلى بالجيش، جمع من حوله مجموعة من العلماء واستشارهم،فجاء رد احدهم مخالفا وعلى الرغم من ان البعض يرى بان الضيف جاء من الممالك الافريقية المجاورة ولكن يجب الا نستبعد فرضية قدومه من الممالك الاسلامية الشمالية، ومن السهل ان ندعم موقفنا بالوقائع التاريخية خصوصا اذا رجعنا الى فترة الخليفة عبدالله التعايشي ([41])

وفي المقطع الرابع، يصور لنا جحافل الفرنسيين القادمين بمدافعهم وبنادقهم ويصفهم بالشياطين

ها هم قدموا يا تاج لدين
فانشر دقات طبولك مل الغاب
حاربهم بالظفر وبالناب
طوبى للفارس
ان الحرب اليوم شرف
ان الموت اليوم شرف
فاضرب.. اضرب.. يا تاج الدين

39 – معالي احمد موسى، صفحات من شاعر افريقيا الفيتوري، مكتبة جامعة الفاشر للنشر والتوزيع،2001م،ص50.
40 – معالي احمد موسى مرجع سابق، ص52.
41 – مدثر محمد حمدان مرجع سابق،ص 58

اضرب.. اضرب.. اضرب([42])

وفي المطلع الخامس تبدا المعركة، ويبلي فيها السلطان ومن وراءه الابطال

بالسيف وبالحربة

و بإيمانك قاتلت

يا فارس تسحق اعداءك

باسم بلادك ناديت

لن يحجبني عن حبك شيء

انك ملء دماي وعيني

يا دار مساليت انا حيّ([43])

وتعتبر المقطوعة السادسة من اهم المقاطع، وسرد الفيتوري الشعري، يكاد يتطابق مع الرواية الشعبية، وهذه الرواية ليست منحصرة في دار المساليت وحدها، بل تنتشر بشكل واسع في كل انحاء الاقليم، وأحيانا تختلط أحداثها مع الأيام بالأساطير والقصص

تقول الرواية في يوم دروتي عندما اشتدت الحرب اوزارها، واستحر القتل في وسط جنود تاج الدين، وثب السلطان من حصانه، في مركبة القائد الفرنسي، ووقع به في الارض ثم تصارعا وبعد ذلك سمع الناس ثلاث تكبيرات، تبعتها ثلاث طعنات، فوقع القائد الفرنسي الجنرال مول مصرعا

وهجمت فاجفل قائدهم

وانشق ستار

كان ستار رصاص

كان ستارا من نار

فوق المدفع بالسيف مشيت

ولحقت بقائدهم فانهار

القائد ذو الجبروت انهار

ذو المركبة النارية والخوذات انهار

---

42 -- السر حسين احمد، حقبة دار مساليت، ط1، مطبعة جامعة الفاشر، 1997م،ص45.

43 – ماريا علي احمد، سلسلة الشاعر الفذ الفيتوري، مكتبة جامعة زالنجي، 2000م،ص22.

هذا الصدر العاري المنهار

من قبل لقائك زانته نياشين الاكبار

لكنك يا فارس اَليت

ان لاتهب الكافر صفحك

ان تسقي من دمه رمحك

ان تصلبهم عبر الفلوات

ان تجعل موتاهم مثلا

لزمان عبر زمانك ([44])

وبعد سقوط قائدهم لاذوا بالفرار، وبدا تاج الدين يطاردهم

صاروا بعد القائد

قطعان غنم([45])

طاردهم بجنودك

عبر الفلوات

عبر دروتي عبر الاكمات([46])

وفي المقطع الاخير، يعيدنا الفيتوري الى اجواء مقدمة القصيدة، الشمس المسجونة، الريح الحبلى، دوران الريح حول الخيام، اي كانه يريد ان ينبه السلطان بان الحرب لم تنتهي بعد

يا فارس خذ حذرك

من طعنات طعين

ويبدو ان السلطان لم يأخذ بهذه النصيحة، فاستمر في ملاحقة الجنود الفرنسيين الهاربين الى ان وقع في كمين نصب له

ليتك لا تتحرك

وتحرك تاج الدين([47])

وأتت بضع رصاصات

---

44 – محمد مفتاح الفيتوري، مرجع سابق، ص80.

45 – المرجع نفسه، ص85.

46 ––عامر ادم محمد، سيرة من تاريخ دار مساليت،امدرمان،1998م،ص44.

47 – عامر ادم محمد، مرجع سابق،ص45

خجلات مضطربات

اقبلن من الظلمات

فرأينا تاج الدين

يبدو كأن قد مات([48])

ففي اليوم التاسع من نوفمبر عام 1910 استشهد السلطان تاج الدين في معركة وادي دروتي شرق مدينة الجنينة وخطف الراية من بعده شقيقه بحر الدين

وتساقط تاج الدين

لم يقو الفارس ان يرجع

لبكاء الشعب عليه

فرصاصات خمس صدعات

تسكن في عينيه

لكن احدا لم ير رايته

تسقط من كفيه([49])

لم تسقط الراية لان بحر الدين خطفها، وحارب الفرنسيين في مواقع عدة حتى هزمهم في معركة (عكري ) وفي عهد بحر الدين تم ترسيم الحدود السودانية الحالية في الجانب الغربي، وانحسر النفوذ الفرنسي على مدينة ادري ([50])

اغاني النساء عن تاج الدين

تاج الدين رجل فيل

بروخ في الليل

دقش الليل

وطاء دبيب الليل

كسار سروج الخيل([51])

---

48 – السر حسين، مرجع سابق،ص47.

49 – معالي احمد موسى، مرجع سابق، ص 54.

50 – المرجع نفسه،ص57.

51 – محمد مختار احمد، مرجع سابق، ص60.

**نتائج الدراسة:**

**1-** أوضحت الدراسة شخصية السلطان تاج الدين.

2- توصلت الدراسة إلى معرفة الأثر النضالي الذي تركه السلطان تاج الدين.

3- تناولت الدراسة علاقة السلطان تاج الدين بالسلطان علي دينار.

**5-** يعد السلطان تاج الدين الرابط بين سودان وادي النيل وغرب افريقيا.

6- سلطنة دار مساليت إرث حضاري في زمانه والوقت الحاضر.

7- مقاومة المساليت للفرنسين تركت اثراً طيباً للسلطان على دينار.

8- – مقاومة دار مساليت والسلطان علي دينار ضد الغزو الفرنسي بمثابة روابط تاريخية وإسلامية بين السلطنتين

**أهم توصيات الدراسة:**

1- الإهتمام بدراسة تاريخ سلطنة دار مساليت.

2- إجراء دراسة متانية لسلاطين المساليت ودورهم في طرد الاستعمار الفرنسي والخروج بنتائج اكثر إيجابية.

3- جمع مؤلفات ومخطوطات سلاطين المساليت في إرشيف واحد.

4- أن يدرس تاريخ سلطنة المساليت وعلاقتهم بالسلطان علي دينار في المناهج الدراسية.

5- الاهتمام بموروث سلاطين المساليت وعلاقاتهم الخارجية.

6- الاهتمام بالتراث الشعبي الذى يحكى عن سلنة دار مساليت.

**المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم والسنه

أبراهيم يحي محمد، كتاب المساليت، مطابع حصاد للطباعة والنشر، الخرطوم،2000م.

ادم محمد حسن كبس، سلطنة دار مساليت والسلطان علي دينار، ورقة علمية منشورة في مجلة جامعة الدلنج للآداب، العدد 13،2016م.

المساليت والسلطان علي دينار، ورقة قدمت في مؤتمر مئوية السلطان علي دينار، 2019، الفاشر.

البخاري عبد الله الجعلي، حدود السودان الغربية مع تشاد وأفريقيا الوسطى وليبيا،(بت).

الصادق زكريا عبدالرحمن، السلطان علي دينار وعلاقته بالإنجليز، رسالة ماجستير، جامعة الفاشر، 2007م، غير منشورة.

السر حسين احمد، حقبة دار مساليت، ط1، مطبعة جامعة الفاشر، 1997م.

الطاهر حاج النور، الغزو الفرنسي لدار مساليت، مكتبة دار النشر، الخرطوم، 1997م.

تهاني فاروق احمد، معارك المساليت مع الفرتسيون، ورقة علمية منشورة في مجلة امعة البطانة للعلوم الانسانية، 2008م.

داؤد بوبلي، صفحات من تاريخ المساليت،ط!، مطبعة الخرطوم،1998م.
سلاطين باشا، السيف والنار فى السودان، عالم الكتب، ام درمان ط3، 1978م.
عازة يحي محمد، تراث قبيلة المساليت، الدار القومية للكتاب، الخرطوم، 2001م،.
عامر ادم محمد، سيرة من تاريخ دار مساليت، ام درمان،1998م
علي احمد علي، الدور البطولي للسلطان تاج الدين في دار مساليت، ط1، مكتبة دار الفنون،1999م.
محمد احمد على، سلاطين المساليت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجنينة، 2017م.
معالي احمد موسى، صفحات من شاعر افريقيا الفيتوري، مكتبة جامعة الفاشر للنشر والتوزيع،2001م
مالك ادم صبي، سيرة السلطان تاج الدين، مجلة جامعة كسلا للعلوم الانسانية، العدد14.
ماريا علي احمد، سلسلة الشاعر الفذ الفيتوري، مكتبة جامعة زالنجي، 2000م
موسى المبارك، تاريخ دارفور السياسى، جامعة الخرطوم، دار النشر والتأليف،1986م.
محمد ابراهيم ابوسليم، الفور والأرض وثائق وتمليك، مدير مركز الدراسات الافريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، كراسة رقم 10.
مكى شبيكة، السودان عبر القرون، دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1964م، ص 123.
محمد مختار احمد، جوانب من حياة الشاعر محمد الفيتوري، دار جامعة افريقيا للنشر، 199م
محمد مفتاح الفيتورى، ديوان عاشق من أفريقيا،الخرطوم ط1، 1963م، م دار النشر للتأليف.
محمد بن عمر التونسي،– تشهيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد مسعد، القاهرة، الدار البيضاء،1961م.
مدثر محمد حمدان، إضاءات حول المساليت، مكتبة جامعة نيالا، 2018م.
مكي محمد احمد السلطان علي دينار أخر سلاطين الفور،ط1، مطبعة جامعة افريقيا للنشر،2000م.
مني عبد الكريم احمد، الصراع الفرنسي والمساليت، مكتبة عزة للنشر، الخرطوم،2004م
نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة السودانية، بيروت – لبنان1967م
يوسف فضل حسن، مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى،1450–1821م، جامعة الخرطوم، 1989م.